المؤتمر السادس لفتح ٤ من ٤

ناهض منير الريس

إذا استطاع بضعة رجال من الفئة الوطنية النظيفة والعاقلة والشجاعة من القيادات التاريخية أو نصف التاريخية داخل فتح أن يحققوا في ما بينهم كتلة خلاص حركي بقلوب صافية ، فإن أول ما ينبغي أن يفعلوه هو أن يشكلوا لأنفسهم رؤية تاريخية بمناسبة المؤتمر تشمل ثلاثة أمور أساسية :

الأول . تشخيص العلة على نحو دقيق .

والثاني . رسم خطة الخلاص ومراحلها .

والثالث . تحديات العصر ودور الحركة في مواجهتها .

وهذه الرؤية بتفاصيلها يجب أن تكون حاضرة وجاهزة قبل المؤتمر وأن يتم نشرها في أوساط القواعد الوطنية النظيفة العاقلة الشجاعة لتجمع لتلك الرؤية الأنصار الذين يساندونها في المؤتمر وخارج المؤتمر ويدركون بصدق . وبدون مكابرة . إنه . أعني المؤتمر السادس . هو الفرصة الأخيرة للحفاظ على حركة فتح واحدة لا متشرذمة ، ممسكة بقياد جماهيرها الباقية لا تاركة إياها في مهب الرياح ، منخرطة في شوط جديد من نضال يستند على أمجاد الذخائر الماضية لا مقتاتا بها .. أقول : إن توفر هذه الكتلة .. وهذا الرأس الصالح في المؤتمر السادس هو الشرط الأولي للمسألة كلها . ورب قائل : أنت تصادر على المطلوب ، فلو كانت هناك أصلا هذه الفئة التي تتحدث عنها لما وصلت الحركة إلى ما وصلت إليه . ولكن هناك في تاريخ الحركات الشعبية مفاجآت مدهشة مثل حضور ما كان غائبا أو غياب ما كان حاضرا . وقياسا على زمن انطلاقة الثورة الذي تسامى فيه المؤسسون فوق ذواتهم

وتفوقوا على أنفسهم واستولدوا من ضمائرهم موقفا نجم عن معاناة وعصف فكري وتوثب يبلغ مبلغ التوتر ، فالمطلوب اليوم فئة تتسامى على الواقع وارتباطاته النفعية وتصمم على إنقاذ الوضع عبر موقف تاريخي حدي شبيه بموقف المؤسسين الذين سيطرت عليهم فكرة التضحية والريادة وليس فكرة التنافس على المركز .

وليس أخطر ما يتهدد المؤتمر السادس هو ظهور الخلافات أو الشغب أو المحاور والأجنحة أثناء انعقاده ، ولكن الأخطر حقا هو سيطرة النظرية الخطأ والخروج بالقرارات الخطأ . وشبيه بذلك أيضا الخروج بقرارات ذات صيغ دبلوماسية مطاطة تتجنب مواجهة المشكلات وتهدف إلى استرضاء الجميع بغية إغلاق الملفات الحساسة سلفا واصطناع توافق ظاهري يبعث على تفاؤل خطابي هدفه إغاظة الغير الذين لا يحبون فتح ! وقد يكون من مقاصد الصيغ المطاطة اجتناب عربدة غير العقلاء والحيلولة دون تسجيلهم من خلال العربدة والسيطرة على الميكروفون نقاطا لصالحهم .

إن الأجنحة والمحاور موجودة مسبقا . ولا أحد سوف يسكت لصالح مظهر وحدوي لا حقيقة له . وهل أدل على ذلك من المفاجأة التي شاهدناها حين هاجم عبد العزيز شاهين . دون تورع ودون هوادة . الرئيس محمود عباس الذي رعى محور الوقائي وتوحد وإياه منذ أكثر من عشر سنوات ؟ لا غرو أن يكون المؤتمر أحفل بمثل هذه المناورات والمشادات والمشاغبات . ويلوح لنا على ضوء المواقف الأخيرة أن جبريل الرجوب الذي أطلق عدة تصريحات إصلاحية وأبدى ميلا إلى مراجعة التجربة وتوجها واضحا للرجوع إلى الوحدة

الوطنية قد يكون ضمانة لعدم انفراد الذين كانوا سبب تدهور سمعة الحركة بالعربدة في ميكرفون المؤتمر .

* * *

وفي الرؤية التي نتمنى أن يوفق إليها المخلصون ينبغي أن يتذكروا أن من المشكلات الكبرى لحركة فتح جلوسها في مقاعد الحكم تلك السنوات الطوال . علما أن الجلوس في مقاعد الحكم كثيرا ما نكس حزب السلطة في كثير من البلاد . وأرى أن أمام فتح أحد طريقين فيما يتعلق بهذه المسألة :

= فإذا كان هدف الحركة هو السعي لعقد انتخابات مبكرة على أمل العودة سريعا للسلطة ، والمحافظة بالتالي على الجميع من أجل أن لا ينقص شيء من قواها بالحسابات الانتخابية ، وكانت تريد وتنوي أن تمضي على النهج الحالي الذي لا فصل فيه بين مراكز الحركة ومناصبها وبين مراكز السلطة ومناصبها حين تحقق النجاح المأمول ، فتستأثر الأطر الحركية العليا بالمناصب الرسمية العليا فلا بد لها من تقييم تجربتها في الحكم ومحاكمة المواقف والأفراد لتشجيع الجمهور على الثقة بها وللحيلولة دون انتكاسة جديدة لفتح .

= وإذا رأت الحركة أنها تبغي الانكفاء على نفسها قانعة بدور المعارضة لكي تلتفت في تلك الأثناء إلى إعادة تنظيم نفسها ، وتعيد علاقاتها مع حماس بروح بناءة . تنافسية ، فسوف ينفض عنها كل أولئك الطامعين الذين يرون فيها موجة يركبونها لبلوغ المناصب والأرباح . وإذ ذاك قد يخيل للبعض أن الحركة قد فقدت بعض وزنها ، ولكن ذلك سيكون على العكس أصح لجسدها وأضمن لمستقبلها لأن هؤلاء المتسلقين ما هم إلا عناصر طفيلية التصقت

بجلد الحركة وصبغته بصبغتها . والحركة بحاجة إلى شجاعة الأخ جبريل الرجوب حين قال تعليقا على وثائق مجلة فانيتي فير الأمريكية : "إذا ما ثبت أن هناك أطرافا فتحاوية خططت للانقلاب على حماس لن تبقى في حركة فتح ". وأضاف : " وموازين القوى الداخلية في حركة فتح مع هذا الاتجاه .. وإن غدا لناظره قريب " . كما أعجبني كلام الأخ قدورة فارس حين قال إن حركة فتح أكبر من واحد اسمه دحلان ومن هيئة اسمها اللجنة المركزية (مع أنه كان في السابق من جماعة وثيقة جنيف ! وكان شخوص قيادة الأمن الوقائي هم كل من يعرف في قطاع غزة !) إذ لا شيء يمنع الإنسان الذي يخوض التجربة من العودة للموقف الصواب .

* * *

وفي الرؤية التي نتمنى أن يتوصل إليها المخلصون في فتح في المؤتمر السادس عنصر أساسي ذو أولوية ومن شأنه الإشعاع على ما يتصل به من القضايا الكبرى وغير الكبرى ألا وهو صورة حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح في المنطقة العربية والإسلامية بصفتها حركة تحرر وطني وليس بالصفة التي أراد الأمريكيون وعملاؤهم أن يزيفوها فيجعلوا فتح مجرد حزب حاكم مقرب ومدعوم أمريكيا . ذلك أن مشكلة فلسطين هي النكبة التي حدثت عام ١٩٤٨ واستولى فيها الاستعمار الصهيوني على الأرض وطرد الأهالي ، وليست مشكلة فلسطين هي الأزمات الاقتصادية والإطعامية التي افتعلوها للسلطة الفلسطينية لتطغى بآثارها المقصودة على أساس القضية .إن القبول بتزوير صورة فتح ليقال إنها جماعة (الواقعيين والعقلاء) الذين اصطفاهم الأمريكيون وجعلوهم القادرين على إخراج الجمهور الفلسطيني من ضائقته

المعيشية المفتعلة ، ينطوي على انحراف فاضح لا تعود معه حركة فتح هي حركة فتح الأساسية .

نحن لا نستهين بتذليل مشكلات الناس . فكل من تصدى للقيادة حاكما من الحكام أو ثائرا من الثوار مطالب حتما بحل مشكلات معيشة الناس . ولكن حركة التحرر الوطني تبقى حركة تحرر وطني في جميع الظروف وعليها أن (تحافظ على الغرض) كما يقول الاستراتيجيون العسكريون وإلا تاهت في المنعطفات وفقدت طريقها . وسيكون من العجيب والعجيب جدا أن تسهر إسرائيل على رسم صورة لنفسها كما لوكانت حركة تحرر ضد الانتداب البريطاني (رغم أنه أوجدها في حقيقة الأمر من العدم) وما هي إلا الاغتصاب والاقتلاع بعينه والتبعية لأمريكا وخدمة مصالحها والمصالح الامبريالية ضد شعوب المنطقة ، بينما يفقد الفلسطينيون صورتهم بوصفهم أوضح حركات التحرر في العالم حقا وأوعرهم طريقا وأنفعهم للإنسانية كلها لأنهم يتصدون لأخطبوط الحكومة العالمية الأمريكية الساعية لامتصاص دماء العالم بأسره .

لقد ارتهنت قيادة فتح الحالية القضية الفلسطينية حسب اتفاقها مع المانحين بعد مؤتمر أنابوليس بمبلغ وهمي هو السبعة مليارات والثلاثمائة مليون دولار ثمنا مؤجلا على مدى عشر سنوات مقابل متطلبات صهيونية معجلة . ونقول إن هذا المبلغ وهمي لأنه مقسط على مدى طويل ولا ضمانة إطلاقا لا على على قدرة أي حاكم فلسطيني على فعل ما يريده الغرب أن يفعل منهم ولا على وفاء المانحين بالتزامهم المعلن . وتحضرني هنا واقعة ذات مغزى : ففي الفترة التي سبقت انفراط عقد الاتحاد السوفييتي في نهاية القرن الماضي كثرت

تلميحات الأمريكيين والأوروبيين لروسيا بأن الغرب سيسارع لإمدادها بالمال الوفير إذا فككت الاتحاد السوفييتي . ولكنهم عندما انفك عقد تلك الدولة تركوها تعاني ضائقتها الموروثة بالإضافة إلى آثار الفصل الدراماتيكي بين أجزائها وتغلغل الذئب الأمريكي في بعض أجزائها ليحرمها من فرص العودة لوحدتها على أسس جديدة .

سنكون شحاذين مذمومين ونظل شحاذين مذمومين ما دمنا ارتبطنا بهذه الاتفاقات . وهذه بداهة لا تحتاج إلى تحليل فلسفي . ولن نصل في النهاية إلى أية نتيجة . وسنكون كمن خسر الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

ويخطئ الذين يظنون أن الإذعان لأمريكا هو الضمانة لمستقبل آمن . فأمريكا معرضة للانهيار انهيارا أسوأ من تفكك الاتحاد السوفييتي . وحركة التحرر الوطني أوسع من فلسطين والعراق وأفغانستان . وعلى الشعوب المقهورة أن لا ترفع الراية البيضاء . فقد نجحت الولايات المتحدة في كسب عداء العالم كله بمن فيه أوروبا التي تبدو الأقرب إليها . وهي تحارب معركتها الأخيرة في أقطار عديدة رغم ما يبدو من جبروتها . وما ذلك إلا لأن سياساتها قائمة على القهر والاستغلال الفاحش . ولا شك أن تراجع قيمة الدولار على النحو الجاري هو رمز بليغ وعميق على الأزمة التي تعيشها أمريكا والتي ستشجع أعداءها وحلفاءها على اغتنام تلك الفرصة لطعن اقتصادها الذي يعني طعن أهم ما لديها .

هناك نمور آسيوية ليست من ورق . وليس من فراغ صرحت بكين بالأمس : إن الولايات المتحدة تمثل الوقاحة والنفاق وإن غزو العراق هو أكبر كارثة إنسانية في العالم المعاصر . وهذه لغة جديدة وتدل على أن الصين تفكر

جديا في بناء سياسة معنية بالقارة الآسيوية . وعلينا أن ندعو لسياسة آسيوية يكون لنا مكاننا فيها . وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال موقعنا كحركة تحرر وطني . وليست لدينا فرصة أصلا مع الولايات المتحدة التي تصهينت وباتت كالديناصور : جسدا ضخما هائلا ، يقوده دماغ صهيوني محدود بحدود أطماعه وأنانيته واحتقاره للآخرين .

لنعد حركة تحرر كما كنا . فقد جرب الشهيد ياسر عرفات وضع (الدولة)المرتبطة بعلاقات ممتازة مع أمريكا ورأينا في النهاية أن ملك العبقرية السياسية الأولى عندنا لم يحصل من الأمريكيين على تسوية مشرفة وإنما على تعسف معه وضغط عليه ليمضي في التنازلات إلى ما لانهاية . إن حركة فتح بشهدائها ووقتها دفعت ثمن تجربة قائدها غاليا ووجب أن لا تلدغ من اجحر الأمريكي ثانية . وعلى فتح أن تتخلص من نمط التفكير الذي يحسب أن الذكاء هو البحث لنا عن مكان في حضن أعدائنا وأن الضمان هو في المراهنة على الطغيان الأمريكي الذي لا بد من غروب شمسه بأسرع مما يحسب الكثيرون .